SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.4 No.1 2023
eISSN 2716-5515 (41-60)

التفسير العلمي بين الأقدمين والمحدثين

SCIENTIFIC INTERPRETATION BETWEEN CLASSICAL AND MODERN PERIOD EXPLANATORS

Eid Abdulaziz[1] & Ebrahim Mohammed Ahmad Eldesoky[2]*
[1]Bayburt Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Turkey
[2]Department of Arabic Linguistics Faculty of Arabic Language, Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University (UniSHAMS), Malaysia
**Corresponding author:drebrahim@unishams.edu.my*

Received: 20 Feb 2023**, Revised:** 2 May 2023, **Accepted:** 30 May 2023, **Published:** 30 Jun 2023

To Cite this Article (APA) : Abdulaziz، E.، & Eldesoky، E. M. A. (2023). Scientific Interpretation Between Classical and Modern Period Explanators: التفسير العلمي بين الأقدمين والمحدثين. *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, *4*(1), 41–60. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol4.1.2.2023

To link to this article: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol4.1.2.2023

الملخص

يدور هذا البحث حول التفسير العلمي في القرآن الكريم، ما بين العلماء الأقدمين الذين كتبوا تفاسير تتحدث عن التفسير العلمي، كالإمام فخر الدين الرازي، والإمام أبي حامد الغزالي، والإمام جلال الدين السيوطي، وغيرهم. وبين علماء القرن العشرين، الذي يعتبر عصر العلم والتكنولوجيا والميكانيكا، إذ أصبح لتلك العلوم أثرها الواضح في علم التفسير؛ حيث ظهرت نزعات تفسيريّة جديدة؛ تبحث عن أوجه الإعجاز فيه، وأخذت في ربط كل شيء جديد بالقرآن الكريم، وظهر كثير من المفكرين والعلماء، الذين أخذوا في الربط بين القرآن الكريم، وبين العلم وتطوراته، كالأستاذ طنطاوي جوهري، والدكتور محمد بن أحمد الإسكندراني، والدكتور أحمد مختار الغزي، والدكتور محمد توفيق صدقي، وغيرهم. وكذلك ظهر كثيرون رفضوا التفسير العلمي؛ وقالوا بأنه يُخْرِجُ القرآن عن سياقه، ويبتعد به عن مراد الله – تعالى – منه. هذا وسوف يتبع هذا البحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي. وقد جاء البحث في تمهيدو مبحثين وخاتمة مشتملة على نتائج البحث تتبعها المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التفسير العلمي، القرآن الكريم، العلماء الأقدمون، العلماء المعاصرون، الإعجاز العلمي.

Abstract

This article focuses on classical commentators such as Fahreddin er-Razi (d. 606/1210)، Abu Hamid al-Ghazali (d. 505/1111)، Celâlüddin es-Süyûtî (d. 911/1505)، and the age of science and technology. It examines the approaches of the 20th century modern commentators to the Qur'an in terms of scientific interpretation. Because the developments in science and technology have also affected the approaches of the commentators to the Qur'an. Namely، some commentators who researched the miraculous and uniqueness of the Qur'an tried to associate

every new scientific development with the Qur'an. Tantavi b. Cevherî al-Misrî (d. 1862-1940)، Muhammed b. Many contemporary thinkers such as Ahmed el-İskenderânî (d. 1306/1889)، Gazi Ahmed Muhtar Pasha (1839-1919) and Muhammed Tevfik Sıdkî (d. 1920) tried to establish a link between the Qur'an and scientific and technological developments. On the other hand، approaches have emerged that do not accept scientific tafsir and argue that this understanding detaches the Qur'an from its context and argues that the Qur'an moves away from the goal that Allah intended with the understanding of scientific tafsir. The research came in the introduction of two sections and a conclusion that includes the results of the research followed by sources and references.

Keywords: Classic and modern, scientific explanation, miraculous of Al-Qur'an

المقدمة

يقوم هذا البحث إلى الحديث عن التفسير العلمي بين الأقدمين والمحدثين في القرآن، وذلك لأنه قد زادت في الآونة الأخيرة الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن، نتيجة للنشاط العلمي والاكتشافات العلمية الحديثة، والصعود إلى الفضاء، وغير ذلك. وتعود أهمية البحث إلى أنني حاولت أن أنظر في كتب التفاسير القديمة؛ حتى أؤكد وجود محاولات للمفسرين القدماء حاولوا من خلالها التأكيد على إعجاز القرآن علميًا وأدبيًّا وبلاغيًّا، كالإمام فخر الدين الرازي وغيره. وكذلك محاولات المعاصرين للبحث في طرق الإعجاز العلمي كطنطاوي جوهري وغيره.

كما حاول الباحث استقراء كتب التفاسير المختلفة التي تتحدث عن التفسير العلمي في القرآن الكريم، محاولة منه إلى فهم كتب التفسير القديمة والحديثة، وغيرها من كتب التراث الإسلامي المختلفة والربط بينها؛ لمعرفة القديم والحديث والمقارنة بينهما. كما حاول فهم كتب المؤلفين المعاصرين وكتيهم في التفسير العلمي التي أخذت تنافس الأقدمين في مسألة التفسير العلمي للقرآن الكريم، وبخاصة بعد التقدم العلمي الحديث والاكتشافات التي جددت شكل الحياة في العصر الراهن.

ولما كان لكل من الفريقين أدلته العلمية، ووجهات نظره المعتبرة، التي يمكن أن يؤخذ بها، أو يرد عليها. ولما كان الأمر هكذا، فقد رأينا أن نتحدث في هذا البحث عن التفسير العلمي، ودور العلماء الأقدمين والمُحدثين في تفسير القرآن الكريم تفسيرًا علميًّا، بعيدًا عن وجهات النظر المختلفة في هذا الأمر، سواء كان الموافقين عليها، أو الرافضين لها.

مناهج تفسير القرآن الكريم

وقد تنوعت تفاسير القرآن الكريم إلى عدة مناهج متغايرة ومتباينة أحيانًا، ومتفقة أحيانًا أخرى ، ومن هذه المناهج: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، أو بالاجتهاد، أو بالدراية، أو بالمعقول، والتفسير الإشاري أو بالإشارة، أو التفسير

الصوفي، أو الفيضي، والتفسير الموضوعي، والتفسير الإجمالي، والتفسير التحليلي، والتفسير المقارن، والتفسير الواقعي، التفسير اللغوي البياني، والتفسير الأدبي البلاغي، والتفسير العلماني الحديث، والتفسير الفقهي، والتفسير العلمي.

التفسير العلمي وتعريفه

والتفسير العلمي هو الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن الكريم في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سِرٍّ من أسرار إعجازه، من حيث إنه يتضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة، التي لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن الكريم، فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر، ولكنه من عند الله تعالى.

جهود العلماء الأقدمين في التفسير العلمي

وقد توالى ظهور كثير من العلماء القدماء الذين حاولوا جاهدين تفسير القرآن الكريم تفسيرًا علميًّا، كالإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة (٥٠٥هـ = ١١١١م)، الذي كان يروج للتفسير العلمي في الأوساط العلمية، وكيف تشعبت بعض العلوم من القرآن الكريم، وبذلك وضع الأسس النظرية للتفسير العلمي للقرآن الكريم.

وكان كتابه جواهر القرآن، قد أعطى المشروعية الدينية والعلمية لعملهم، حيث ذهب إلى أنه لا يتمكن من معرفة معاني القرآن الكريم، إلا أولئك الذين درسوا العلوم الكونية المستخرجة أصلاً من القرآن الكريم، وكما أن الإنسان لا يمكن أن يعرف معاني القرآن دون معرفة اللغة العربية، فإنه كذلك لا يستطيع أن يعرف مثلاً معنى قوله تعالى : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)[الشعراء: ٨٠] دون معرفة علوم الطب. ولذلك فقد شبه القرآن الكريم بنهر كبير تتفرع منه روافد كثيرة، وما هذه الروافد إلا فروع المعرفة المتنوعة. وبهذه الطريقة فقد جعل دراسة العلوم الكونية شرطًا ضروريًّا لدراسة وتفسير القرآن الكريم.

ويقدم الإمام محمد بن عمر بن الحسن، فخر الدين الرازي (٥٤٤ – ٦٠٦هـ = ١١٥٠ – ١٢١٠م) في تفسيره مفاتيح الغيب بجعل القرآن الكريم موضع الدراسة والبحث والتحليل على منهج يرى تفوق الحكمة القرآنية على سائر الطرق الفلسفية، وانفرادها بهداية العقول البشرية إلى غايات الحكمة، من طريق العصمة، وإبراز حكمة القرآن الكريم والبرهان على سُمُوِّهَا، وأمن مسلكها، وأقام تفسيره على أربعة أسس، منها الأساس الأول: وضع القرآن الكريم موضع الدراسة والبحث والتحليل، حتى تتجدد الدراسات القرآنية بشكل مستمر، ويتعين على كل جيل دراسة العلوم والمعارف، والثاني: بيان اشتمال القرآن الكريم على مختلف العلوم والمعارف، مما جعله يسمو على ما عداه، مما أبدعته العقول. والثالث: دعوة أصحاب العلوم الأخرى إلى الإقبال على القرآن الكريم ودراسته. والرابع: إعادة الطمأنينة إلى القلوب، وربطها بالقرآن الكريم.

ولذلك جعل الإمام الرازي منهجه فرصة ليظهر تفسيره تفسيرًا موسوعيًّا، ولأجل هذا عمد إلى تقسيم كلامه عن الآيات الكريمة إلى عدة مسائل، يبدأها بذكر تناسب الآية بسابقتها، ويتبعها بمسائل اللغة والقراءات والأقوال المختلفة في المعنى المراد منها، والفقه والوعظ والتدبر، والاستنباطات العلمية، وكذلك يتحين الفرص لذكر مسألة علمية، فلا يفوِّتُهَا حتى إنه يأتي باستنباطات عجيبة، كما يحرص على تفوق الحكمة القرآنية على الطرق الفلسفية، ولذلك كان كثير الاستطرادات إلى العلوم الرياضية والطبيعية، وكثير الرد على الملاحدة المنكرين للخالق والقائلين بالطبيعة، وكثير إعمال العقل والتفكير في الآيات الكونية، كثير الاستفادة من الجانب الوعظي والدعوي، كثير الانشغال بالأمور الغيبية ومعجزات الأنبياء وخوارق العادات.

وكذلك جهود شرف الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي الفضل المرسي الأندلسي، المتوفى سنة (٦٥٥ هـ = ١٢٥٧م)، التي أشار إليها السيوطي في كتاب الإتقان في علوم القرآن، الذي حاول أن يعيد ما وصل إليه عصره من علوم الطب، والفلك، والزراعة... إلى القرآن الكريم.

وجهود الإمام عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي، المتوفى سنة (٦٨٥هـ = ١٢٨٦م)، صاحب تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، والذي امتلأ بالنزعة العلمية في تفسيره، وكان قد استمد تفسيره من كتاب التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وكذلك اختصر في تفسيره كتاب الكشاف للإمام الزمخشري، كما ضم فيه كثير من الاعتزال، وبعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين.

وجهود محمد بن بهادر بن عبد الله الزَّرْكَشِي، المتوفى سنة (٧٩٤هـ = ١٣٩٢م)، التي ظهرت في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، وقد عرض فيه فصلاً كاملاً عن حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم، وفي هذا الفصل نراه يقول بالتفسير العلمي، فينقل أقوال بعض الصحابة، وينقل أقوال الإمام الغزالي التي ذكرها في إحياء علوم الدين، فيقول:« كتاب الله بحره عميق، وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلاَّ من تبحر في العلوم، وعامل الله بتقواه في السرِّ والعلانية، وأَجَلَّهُ عند مواقف الشبهات. واللطائف والحقائق لا يفهمها إلاَّ من ألقى السمع وهو شهيد، فالعبارات للعموم وهي للسمع، والإشارات للخصوص وهي للعقل، واللطائف للأولياء وهي المشاهد، والحقائق للأنبياء وهي الاستسلام.....وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر. وقال آخر: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ لكل كلمة علم يتضاعف ذلك أربعة، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع، وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله، فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رَحْبًا، ومتسعًا بالغًا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل، والسماع لابد منه في ظاهر التفسير، ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة.

وجهود الحسن بن محمد بن الحسين القُّمي النَّيْسَابُوري، المتوفى سنة (٨٥٠هـ = ١٤٤٦م)، في كتابه (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، وكان إذا مر على آية تتحدث عن الكون فإنه يخوض في أسرار الكون وكلام الطبيعيين والفلاسفة. وقويت عنده هذه النزعة العلمية من التفسير الكبير للرازي، الذي اختصر تفسيره منه، وكذلك من قدرته على تأويل الآيات بلسان أهل الحقيقة ومتفلسفة الصوفية الذين يرون أن لكل لفظة في القرآن ظهرًا واحدًا مطلقًا. كقوله في تفسير قوله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)...ثم السحر على أقسام: منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر، وهم قوم يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة، ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية، وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام مبطلًا لمقالتهم، ورادًّا عليهم مذاهبهم. ومنها سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، بدليل أن الجذع الذي يتمكن الإنسان من المشي عليه، لو كان موضوعًا على الأرض، لا يمكنه المشي عليه، لو كان كالجسر....وقد اجتمعت الأطباء على نهي المرعوف عن النظر إلى الأشياء الخمر، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان أو الدوران، وما ذاك إلا لأن النفوس خلقت مطبعة للأوهام.

وكذلك جهود جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة (٩١١هـ = ١٥٠٥م)، التي تابع فيها من سبقه من دعاة التفسير العلمي، ونجد هذه الدعوة واضحة موسعة في كتابه الإتقان في علوم القرآن، وفي كتاب (الإكليل في استنباط التنزيل، وفي كتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن)، كما كان كثير إيراد الآيات والأحاديث النبوية والآثار، وأقوال المفسرين والعلماء، ليستشهد بها على أن القرآن الكريم مشتمل على كل العلوم والفنون.

ويقول السيوطي في تفسيره : جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علمًا حقيقة إلا المتكلم بها، ثم رسول الله ﷺ، خلا ما استأثر به –سبحانه وتعالى–، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم ... ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه، فاعتنى قوم بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه، وعددها، وعدد كلماته، وآياته، وسوره، وأحزابه، وأنصافه، وأرباعه، وعدد مجدانه، والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة، والآيات المتماثلة، من غير تعرض لمعانيه، ولا تدبر لما أودع فيه، فسموا القراء. واعتنى النحاة بالمُعرب منه، والمبني" من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، ..... ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك، فاستخرجوا منه علم المواقيت، ونظر الكتَّاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادي والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والإطناب والإنجاز

وغير ذلك، واستنبطوا منه المعاني، والبيان، والبديع....وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك. أما الطب فمداره، على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة، وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المضادة، وقد جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله تعالى: (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا). وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى:(شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ). وأما الهيئة ففي تضاعيف سورة من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والأرض...وأما الهندسة ففي قوله تعالى:(انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ).... وغير ذلك.

وكذلك في كتابه (الإكليل في استنباط التنزيل)، وهو كتاب يبحث في أحكام القرآن الكريم، أورد فيه الآيات التي استنبط منها حكم، أو استدل بها على مسألة فقهية، أو أصولية، أو إعتقادية، مقرونًا بتفسير الآية، حيث توقف فهم الإستنباط عليه، معزوًّا إلى قائله من الصحابة والتابعين.

وأما كتاب (مفحمات الأقران في مبهمات القرآن)، فهو كما قال:"من كتب علوم القرآن، التي يجب الاعتناء بها معرفة مبهماته، وقد صنف في هذا النوع أبو القاسم السهيلي كتابه المسمى (التعريف والإعلام)، وذيل عليه تلميذ تلامذته ابن عساكر بكتابه المسمى (التكميل والإتمام)، وجمع بينهما القاضى بدر الدين بن جماعة في كتاب سماه (التبيان في مبهمات القرآن)، وهذا كتاب يفوق الكتب الثلاثة بما حوى من الفوائد الزوائد وحسن الإيجاز، وعزو كل قول إلى من قاله مُخرجًا من كتب الحديث والتفاسير المسندة، فإن ذلك أدعى لقبوله، وأوقع في النفس، فإن لم أقف عليه مسندًا عزوته إلى قائله من المفسرين والعلماء. ثم يعقب على هذه الأقوال وغيرها، بقوله:"وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء. أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى.....إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات".

جهود العلماء المعاصرين

ومن الباحثين الأتراك مَنْ تحدث عن التفسير العلمي في القرآن الكريم، وكانت جهود العلماء المعاصرين في التفسير العلمي، قد انطلقت في سياق الرد على تفوق الغرب الحضاري، وبداية هيمنته على بلاد المسلمين بسبب اكتشافاتهم العلمية، وبداية ظهور المدنية والحضارة الغربية؛ مما تسبب في إحساس المسلمين بحاجتهم إلى الاتصال بالغرب، والنقل عنه فيما يختص بالجانب المادي.

وفي هذه الفترة بدأ المخلصون من المسلمين ينظرون في القرآن الكريم، على أن فيه إشارات إلى أصول العلوم، وهم يقولون: إذا كان الغرب تفوق علينا في العلم والصناعة، فإن القرآن الكريم، ليس سبب تأخرنا وتخلفنا،

بل إنه يحوي أصول العلوم كلها؛ وذلك لأن المستشرقين في هذا الوقت كانوا يروجون لفكرة أن سبب تخلف المسلمين يرجع إلى تمسكهم بالقرآن الكريم. وامتدت هذه النزعة إلى العرب والمسلمين، فأخذوا يُحَمِّلُونَ القرآن الكريم كل علوم الأرض والسماء، وجعلوه دالاً عليها بطريق التصريح والتلميح، وأن هذا بيانٌ لناحية من أهم نواحي صدقه وإعجازه وصلاحيته للبقاء.

وكان الطبيب المصري محمد بن أحمد الإسكندراني، من أوائل رواد هذا التفسير في العصر الحديث، وكان قد نشر كتابًا سنة (١٢٩٧هـ = ١٨٨٠م) في القاهرة، تحت عنوان (كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية) ، ثم نشر كتابًا في دمشق سنة (١٣٠٠هـ= ١٨٨٣م)، باسم (تبيان الأسرار الربانية بالنباتات والمعادن والخواص الحيوانية)، و(الأزهار المجنية في مداواة الهيضة الهندية) و(البراهين البينات في بيان حقائق الحيوانات)، وكان هذا النوع من الدراسات جزءًا من الجدل العام الذي شهده العالم الإسلامي في ذلك الوقت حول جواز أو عدم جواز الاقتباس من علوم الغرب والمعتدي على أراضي المسلمين.

وكان لجهود أصحاب مدرسة التفسير العلمي أثرها فيما عند كلٍّ من: يحيى أحمد الدرديري، المتوفى سنة (١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦م) صاحب كتاب مكانة العلم في القرآن.

وأحمد مختار الغزي ، المتوفى سنة (١٣٣٧هـ = ١٩١٩م) صاحب كتاب سرائر القرآن، بناء على سبعين آية من كتاب الله تعالى فسرها بآخر ما انتهى إليه العلم الحديث في الطبيعة والفلك، فإذا هي تثبت أن هذا الكتاب الكريم سبق العقل الإنساني ومخترعاته بأربعة عشر قرنا إلى زمننا، وما ذاك إلا فصل من الدهر، وستعقبه فصول بعد فصول.

وكان يقول: وفي القرآن غير ما يكفل للهيئة الاجتماعية سعادتها وسلامتها في معاشها ومعادها مما حواه من الدساتير الأخلاقية والقضائية والإدارية والسياسية وعظة الأمثال والقصص، فيه إشارات وآيات بينات في مسائل ما برحت العلوم الطبيعية تحاول الكشف عن كنهها منذ عصور، ولا سيما في علم التكوين والتخريب "القيامة "الذي دل الآن بنظريات الإخصائيين من علماء الفلك ، ومباحثهم ومشاهداتهم في طور التقدم والارتقاء ، وإنك لا تكاد تقلب من المصحف الشريف بضع صفحات حتى تجد آية في أسرار الكائنات وأحوال السماء ، منظومة في نسقها بمناسبة من أبدع المناسبات.

ومحمد توفيق صدقي، المتوفى سنة (١٣٣٨هـ = ١٩٢٠م)، وهو طبيب مصري، أولع بالأبحاث الدينية وتطبيقها على العلوم العصرية، فنشر مقالات كثيرة في المجلات كالمنار والمؤيد واللواء والشعب والعلم بمصر. ومن كتبه: (دين الله في كتب أنبيائه)، و(دروس سنن الكائنات)، و(الدين في نظر العقل الصحيح)، وهو أول ما كتبه من المباحث الدينية، و(عقيدة الصلب والفداء)، ومحاضرات طبية علمية، وغيرها.

وجهود طَنْطَاوي جَوْهَري، المتوفى سنة (١٣٥٨هـ = ١٩٤٠م): وهو عالم مصري، وله مؤلفات كثيرة، أشهرها تفسير (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) فقد نحا فيه منحى خاصًّا، ابتعد في أكثره عن معنى التفسير، وأغرق في سرد أقاصيص وفنون عصرية وأساطير؛ لأنه كان يرى أن معجزات القرآن الكريم العلمية لا زالت تنكشف يومًا بعد يوم، كلما تقدمت العلوم والاكتشافات، وأن كثيرًا من كنوز القرآن العلمية ما زالت مذخورة يكشف عنها العلم شيئًا فشيئًا على مر العصور.

وقد تكلم عن طريقة مؤلفه ومنهجه، فقال : إني خُلِقْتُ مغرمًا بالعجائب الكونية، معجبًا بالبدائع الطبيعية، مشوقًا إلى ما في السماء من جمال، وما في الأرض من بهاء وكمال، آيات بينات، وغرائب باهرات... ثم إني لما تأملت الأمة الإسلامية، وتعاليمها الدينية؛ ألفيت أكثر العقلاء، وبعض أجلة العلماء، عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكر في خلق العوالم، وما أودع فيها من الغرائب؛ فأخذت أؤلف كتبًا لذلك شتى، كنظام العالم والأمم، وجواهر العلوم، والتاج المرصع، وجمال العالم، والنظام والإسلام، ونهضة الأمة وحياتها، وغير ذلك من الرسائل والكتب. ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنيع.. وتقبلها أجلة العلماء قبولاً حسنًا، وترجم منها الكثير، لكن كل ذلك لم يشف مني الغليل، ولم يقم على غنائه من دليل؛ فتوجهت إلى ذي العزة والجلال، أن يوفقني أن أفسر القرآن، وأجعل هذه العلوم في خلاله، وأتفيأ في بساتين الوحي وظلاله، ولكم طلبت منه –جل جلاله– بالدعوات في الخلوات، وابتهلت إليه وهو المجيب، فاستجاب الدعاء...مؤملاً بما وقر في النفس، أن يشرح به قلوبًا، ويهدي به أممًا، وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين؛ فيفهموا العلوم الكونية، وإني لعلى رجاء أن يؤيد الله هذه الأمة بهذا الدين، وينسج على منوال هذا التفسير المسلمون، وليقرأن في مشارق الأرض ومغاربها مقرونًا بالقبول، وليولعن بالعجائب السماوية، والبدائع الأرضية: الشبان الموحدون، وليرفعن الله مدنيتهم إلى العلا، وليكونن هذا الكتاب داعيًا حثيثًا إلى درس العوالم العلوية والسفلية، وليقومن من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة، في الزراعة، والطب، والمعادن، والحساب، والهندسة، والفلك، وغيرها من العلوم والصناعات؟! كيف لا، وفي القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، فأما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة عن مائة وخمسين آية!. ولقد وضعت في هذا التفسير: ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق، وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق: مما يشوق المسلمين والمسلمات، إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات: في الحيوان والنبات والأرض والسموات.

ولتعلمن أيها الفطن: أن هذا التفسير نفحة ربانية، وإشارة قدسية، وبشارة رمزية، أمرت به بطريق الإلهام، وأيقنت أن له شأنًا سيعرفه الخلق، وسيكون من أهم أسباب رقي المستضعفين في الأرض.

ويضيف: «إن قراءة التشريح والطبيعة والكيمياء، وسائر العلوم العصرية، ودراسة الحيوان والنبات والإنسان أجل عبادة ولولا قصور علماء القرون الماضية ما ضاع المسلمون، وما أحاطت بهم عاديات الدهر، ولا أصابتهم كوارث الحدثان!».

ولقد وضع المؤلف في تفسيره هذا ما يحتاجه المسلم من الأحكام، والأخلاق، وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم، وعجائب الخلق مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات في الحيوان والنبات، والأرض والسموات. هذا وإن المؤلف ليقرر في تفسيره، أن في القرآن من آيات العلوم ما يزيد على سبعمائة وخمسين آية، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية، كما يقرر أن الإسلام جاء لأمم كثيرة، وأن سور القرآن الكريم متممات لأمور أظهرها العلم الحديث.

وفي هذا التفسير طبق القرآن على النظريات الحديثة، أو استخراج النظريات العلمية من نصوص كتاب الله؛ فجاء مزيجًا من علوم الأمم قديمها وحديثها. مع التوفيق بين الآراء الحديثة والأفكار الدينية.

وقالت مجلة الجمعية الآسيوية الفرنسية: «إن الشيخ طنطاوي رجل فيلسوف حكيم بمقدار ما هو عالم بالدين. وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذي أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية، وموافقة للحقائق العلمية، والنواميس الطبعية. وقد ترجم تفسير الجواهر إلى اللغة الأوردية. وفيه من الصور الشمسية ما يزيد على ألف صورة، يتبين بها القاريء عجائب الحيوان، والشموس، والأقمار، والنجوم، وصور النبات والحيوان، وعجائب العين مصورة، والدماغ وعجائبه. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات:٢١]. نرى صورة المخ موضحة، وكم في الكتاب من معجزات أظهرها العلم الحديث في هذا التفسير!» .

وركز فيه على كونيات القرآن في العصر الحديث ؛ حيث توسع في مجال التفسير العلمي، وقرر أن القرآن يحوي كل العلوم، وأنه يشير إلى جميع مسائلها؛ ولعله تأثر بالإمام الغزالي الذي ألف كتابه «جواهر القرآن» وخصص منه بابًا يبين فيه كيف تشعبت العلوم كلها من القرآن الكريم.

وجاء التفسير في قسمين ، كما يقول الإمام «محمد عبده»: «أحدهما: جاف مبعد عن الله وعن كتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ ، وإعراب الجمل ، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية،

وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيرًا؛ وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرها. والآخر: هو التفسير الذي قلنا: إنه يجب على الناس على أنه فرض كفاية ، وهو الذي يستجمع تلك الشروط ؛ لأجل أن تستعمل لغايتها، وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام؛ ليتحقق فيه معنى قوله:﴿هُدىً وَرَحْمَةً﴾. ونحوهما من الأوصاف؛ فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن... وهذا هو الغرض الأول الذي أرمي إليه في قراءة التفسير».

ولم يخرج طنطاوي جوهري عن هذا الغرض في تفسيره بل زاد عليه، وأكد هذا بقوله: «يا أمة الإسلام، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعًا من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها... هذا زمان ظهور نور الإسلام، هذا زمان رقية يا ليت شعري! لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث؟ ولكني أقول: الحمد لله، الحمد لله، إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراساتها أفضل من دراسة علم الفرائض؛ لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله وهي فرض عين على كل قادر...إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن، هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام».

وكانت طريقته في التفسير بأن يبدأ بالتفسير اللفظي للآيات التي يعرض لها، ثم يتلوه بالشروح والإيضاح والكشف: أي أنه يشرع متوسعًا في الفنون العصرية المتنوعة، ففي تفسيره للبسملة من سورة الفاتحة يقول: «نزلت هذه السورة لتعليم العباد: كيف يتبركون باسم الله –عز وجل– في سائر أحوالهم،....ومن هذه العجائب: ما شاهده العلماء الباحثون في أمر النحل والنمل والعنكبوت، (فأما النحل): فتعجب، كيف جعل الرحمن الرحيم له سبلاً مذللةً، فإنه متى فتح زهرة أول النهار ليمتص رحيقها المختوم ، ويرجع به إلى الخلية فيضعه فيها، يلهم أن لا يفتح زهرةً في ذلك اليوم، إلا ما كان من جنس تلك الزهرة لرحمة النحل ورحمة الناس، أما رحمة النحل، فإنه لا يعوزه أن يحتال في فتح زهرات أخرى من نوع آخر، فيطول عناؤه، وأما رحمة الناس: فإن ما يعلق برجلي النحلة من حبوب طلع الذكور من النبات، إذا وصل إلى زهرة أنثى علق بها من ذلك الطلع بعضه؛ فأثمر ذلك النبات؛ لحصول الإلقاح بهذه الرحمة العجيبة. (وأما النمل): فمن عجائب الرحمة الخاصة به: أن الله خلق له حشرةً تسمى (افس) –باللسان الإفرنجي– يحاربها النمل ويغلبها، ومتى غلبها أخذ يستولدها ويربيها، ويسميها في ورق الورد، ومتى أكلت وشبعت، أقبل النمل عليها، وامتص منها مادةً حلوةً. فكأنه بقر له يشرب لبنه!.

وعقد بحثًا في عجائب القرآن الكريم وغرائبه ، فذكر ما انطوت عليه هذه الآيات من عجائب، ويذكر عالم تحضير الأرواح فيقول: وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية استخراجه، إن هذه الآية تتلى، والمسلمون يؤمنون

بها، حتى ظهر علم الأرواح بأمريكا أولاً، ثم بسائر أوروبا ثانيًا". ثم ذكر نبذة طويلة عن مبدأ ظهور هذا العلم، وكيف انتشر بين الأمم، وفائدته.

ونجده متأثرًا بنزعة الشيخ محمد عبده في إصلاح المجتمع ومحاربة البدع، وكثيرًا ما يضع في تفسيره صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة والتجارب العلمية والجداول العلمية الاحصائية بقصد أن يوضح للقاريء ما يقول توضيحًا يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس مما جعل بعض علماء المسلمين يخرج تفسيره عن كتب التفسير المعروفة المقبولة عند المسلمين، ويرى أن دراسة القرآن في العصور الخالية كانت تكشفية وقراءة سطحية وعلومة لفظية ويناشد علماء المسلمين بأن يربوا الألباب، ويخاطبوا الوجدان والعقل، وليضموا إلى تربية الاجسام ترقية العقول، وإن لم يفعلوا ذلك لم تعش الأمة الاسلامية قرنًا واحدًا، بل تفنيها الأمم الأجنبية على شاكلة قوله:«إن دراسة القرآن في العصور الخالية كانت تكلفية وقراءة سطحية، وعلومًا لفظية، فعكف الناس على الألفاظ، وكثر الحفاظ وقل المفكرون، فخمدت القرائح وماتت العلوم،.....ونامت البصائر، وماتت النفوس، وفر العلم إلى الغرب، وخلى الشرق قاعًا صفصفًا وصعيدًا جرزًا. فلنجعل اليوم حدًّا بين الماضي والمستقبل، وليفطن العلماء بعدنا إلى ما ذكرناه، وليدرسوا القرآن بنحو الأسلوب الذي بيناه، وليفتحوا للمعاني بصائرهم، وليضموا إلى تربية الأجسام ترقية العقول.

ويعد تفسيره أشمل تفسير علمي للقرآن الكريم، كما أنه يدل على سعة اطلاع المؤلف على علوم عصره، وتبحره في العلوم الطبيعية، والمذاهب الفلسفية، وقد ساعدة ذلك على معرفته التامة باللغة الإنجليزية، وتدريسه في مدرسة دار العلوم، كما أنه أبدى غيرة شديدة على الإسلام، وحماسة منقطعة النظير في تفسيره؛ لإيقاظ همة المسلمين ودفعهم إلى تبني العلوم الحديثة، وإحداث تطور مماثل للتطور الغربي في بلاد المسلمين.

وقد عارضه كثير من الكُتَّابِ والمؤلفين، فالشيخ محمود شلتوت تناول هذا الموضوع ورد عليه بحجج قوية، كما رد عليه أمين الخولي في كتابه التفسير معالم حياته منهجه اليوم، ومحمد رشيد رضا في بداية تفسيره أيضًا، وكانت المملكة العربية السعودية قد منعت هذا الكتاب من دخول أراضيها، وبالرغم من ذلك فقد انتشر هذا التفسير في إيران والسودان وشمالي إفريقيا وبلاد جاوة، والهند.

ومحمد فريد بن مصطفى وَجْدي، المتوفى سنة (١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م): من الكتَّاب الباحثين، له كتب كثيرة، نالت في حياته شهرة واسعة، حيث ترجمت إلى عدة لغات شرقية وغربية في العالم العربي والإسلامي، فقال عنه العقاد: هو فريد عصره غير مدافع ، وكان أشهرها في التفسير: (صفوة العرفان في تفسير القرآن)، وهو تفسير موجز للقرآن. والمعروف باسم (المصحف المفسر)، يوضح في مقدمة هذا التفسير أنه يريد أن يفسر القرآن بعبارات

واضحة خالية من الاصطلاحات الفنية، والاحتمالات الظنية، ويهدف بذلك إلى مخاطبة المسلمين، ويوضح منهجه في تفسيره وطريقته في تأليفه، فيقول في معرض حديثه عن مادة تفسير في دائرة معارف القرن العشرين: "قد وضع مؤلف هذه الدائرة تفسيرًا سماه (صفوة العرفان في تفسير القرآن) عمد فيه إلى تفسير الكتاب الكريم بعبارات واضحة خالية من الاصطلاحات الفنية، والاحتمالات الظنية، والأقاصيص الإسرائيلية، وتصدى فيه لحل الشبه العصرية التي تتوجه إلى ظواهر بعض آيات القرآن، وجعل تفسير كل صحيفة في أسفلها فجاء كمصحف مفسر، وغرضه من ذلك أن يجعله صالحًا للتلاوة اليومية، حتى إذا احتاج التالي لمعرفة لفظة غريبة، أو سبب نزول آية، أو تفصيل إجمال فيها، أو معرفة محذوف في تركيب، عمد إلى النظر فيما يقابل الرقم الموضوع خلفها من الشرح الموجود في ذيل الصفحة فيجده بلا كلل ولا كثير انقطاع عن التلاوة".

وقال الصفحة نفسها: "قد حاز هذا التفسير شهرة عظيمة في الأقطار الإسلامية كافة، ووصلت بسببه معاني القرآن الكريم إلى قوم كانوا من أبعد الناس عنها، ووجد المشتغلون بدنياهم، المنقطعون لها، من هذا التفسير ذخرًا لهم يؤتيهم بما يحتاجون إليه على عجل، وبلا إضاعة أقل وقت".

وقد تميز هذا التفسير بعدم الانحياز لأي مذهب فقهي أو ديني، حيث يقول في مقدمة تفسيره:"استخلصت هذا التفسير من الآراء المجمع عليها لدى أئمة المفسرين، وأقطاب أهل السنة، فلم أخرج به عن سننهم قيد شعرة ليوافق مذهبًا من المذاهب، أو يؤيد رأيًا من الآراء الفردية، ولو اضطرني الكلام في بعض الآيات على أن أورد رأيًا لي، أو لأحد من غير أهل السنة، نبهت إليه، وعَزَوْتُهُ لقائله حتى يكون القاريء على بَيِّنَةٍ من أمره. والعناية باللغة عناية تامة دون اقتصار على علم الغريب، وترك باقي الألفاظ، فنراه يقول:" وقد راعيت في تفسيري هذا أن أعني باللغة عناية لم يعتن بها مفسر من السابقين، فإنهم فيما يظهر، لغزارة مادتهم اللغوية، لم يلموا من لغة القرآن إلا بالغريب الذي يعلو عن تناول كثير من الخاصة، ولكن رأيت أن الكتاب الكريم قد جمع أوجه كلمات اللغة العربية، وعقائل مفرداتها، ونحن أحوج ما نكون إلى التقوي فيها؛ لنحفظ وجودها من عبث العجمة بها، فشرحنا المفردات شرحًا وافيًا، ودللنا على أصولها، وأتينا بمشتقاتها، والتزمنا أن نشرح اللفظ حيث وجدناه. ولو صادفنا في كل صفحة من صفحات المصحف".

وكذلك جهود الإمام محمد عبده، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح، والتجديد في الإسلام، المتوفى سنة (١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م) ومحاولاته تفسير القرآن الكريم تفسيرًا علميًّا، له مؤلفات ، منها: (تفسير القرآن الكريم)، وبالرغم من أنه لم يتمه، ولكنه تفسير حافل، ويقع في اثنى عشر مجلدًا، وينتهي عند الآية ٥٣ من سورة يوسف، وثم أكمل الشيخ محمد رشيد رضا تفسيره على المنهج نفسه، وقام بنشره في مجلة المنار، بعد مراجعة الشيخ ليقوم بتنقيحه وتهذيبه، أو إضافة ما يكمله، وكان الإمام يستخدم عقله الحر في كتاباته وبحوثه، ولم يتوقف عند

أفكار المتقدمين وأقوال السابقين، وهذه الحرية العقلية والثورة على القديم، كان لهما أثر بالغ في المنهج الذي اتبعه في تفسيره.

وكان الإمام محمد عبده مبتكر التفسير الأدبي للقرآن الكريم في العصر الحديث، ورائد هذه المدرسة، بلا منازع، لم يخض في تعيين ما أبهمه القرآن الكريم، ولم يجرؤ على الخوض في الكلام عن الأمور الغيبية، ولا الخوض في التفصيلات والجزئيات.

كما كان منهجه في تفسيره منهجًا تربويًّا للأمة الإسلامية، يبعث مقوماتها، ويثير أمجادها، وينادي بآداب القرآن من الشجاعة والكرامة، وحارب جمود الفقهاء وتقليدهم، وتقديم المذاهب على القرآن والسنة مكانهما الأول من التشريع، ودعا المسلمين إلى استخدام عقولهم وتفكيرهم.

كما كان يدور منهجه كذلك على أن الإسلام هو دين العقل والشريعة، وهو مصدر لكل خير، والإصلاح والصلاح الاجتماعي، والقرآن الكريم هو مصدر العقيدة، وليست العقيدة مصدر القرآن، وعدم وجود تعارض بين القرآن الكريم، والحقائق العلمية الراهنة، واعتبار القرآن الكريم وحدة متكاملة متماسكة لا يقبل التجزئة والتقسيم، ويجب التحفظ في الأخذ فيما يسمى بالتفسير بالمأثور، والتحذير من الأقاصيص الإسرائيلية المكذوبة، وعدم اغفاله الوقائع التاريخية، والتي لها دخل في فهم معاني القرآن الكريم، واستعمال الذوق الأدبي النزيه في فهم مرامي الآيات الكريمة، ومعالجته للمسائل الاجتماعية في الأخلاق والسلوك، وكذلك تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث القطعي الثابت، كما كان دائًما يحذر من الخوض في الأمور الغيبية عن الحس والإدراك.

ولذلك يقسم الإمام محمد عبده التفسير إلى قسمين: الأول: جاف ومبعد عن الله –تعالى– وكتابه الكريم، وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية. والثاني: ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام ، على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية.

كما أن له بعض البحوث التفسيرية التي عالج فيها بعض مشكلات القرآن الكريم، ودفع بها ما أثير حول القرآن الكريم من شكوك وإشكالات.

وكذلك جهود مصطفى صادق الرافعي، وهو من أنصار النزعة العلمية لتفسير القرآن الكريم، في كتابه: (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، ونجده يعقد مبحثًا خاصًّا على موضوع القرآن والعلوم. وفي هذا البحث يقرر أن

للقرآن وجهًا اجتماعيًّا من حيث تأثيره في العقل الانساني، وهو معجزة التاريخ العربي خاصة، ثم هو بآثاره النامية معجزة أصلية في تاريخ العلم كله على بسيط هذه الأرض منذ ظهور الإسلام إلى ما شاء الله، لا يذهب بحقها اليوم أنها لم تكن من قبل إلاَّ سببًا، فإن في الحق ما يسع الأشياء وأسبابها جميعًا. وليس يرتاب عاقل ممن يتدبرون تاريخ العلم الحديث، ويستلمون في أسباب نشأته، ويتثبتون عند الخاطر من ذلك إذا أقدموا عليه، وعند الرأي إذا قطعوا به، أنه لو لم يكن القرآن الكريم لكان العالم اليوم غير ما هو في كل ما يستطيل به...، والقرآن أصل النهضة الإسلامية، وهذه كانت على التحقيق هي الوسيلة في استبقاء علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها، وإطلاق العقل فيشاء أن يرتع منها وأخذه على ذلك بالبحث والنظر والاستدلال والاستنباط، وتوفير مادة الرؤية عليه بما كان سببًا في طلب العلم للعمل، ومزوالة هذا لذاك إلى صفات أخرى ليس هذا موضع بسطها. ويذكر الرافعي أن بعض العلماء استخرج من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاخترا، وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية، وبسطوا كل ذلك بسطًا ليس هو من غرضه فيستقصي فيه، على أن هذا ومثله إنما يكون فيه إشارة ولمحة، ولعل متحققًا بهذه العلوم الحديثة، لو تدبر القرآن وأحكم النظر فيه، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم، ولا يلتوي عليه أمر من أمره لاستخرج منه إشارات كثيرة قومىء الى حقائق العلوم وإن لم تبسط من أنبائها وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها.

ويقرر الرافعي أن القرآن الكريم أشار إلى نشأة هذه العلوم وإلى تمحيصها وغايتها، وأن من أدلة إعجازه أن يخطيء الناس في بعض تفسيره على اختلاف العصور لضعف وسائلهم العلمية على شاكلة قوله: وقد أشار القرآن إلى نشأة هذه العلوم، وإلى تمحيصها وغايتها على ما وصفناه آنفًا، وذلك قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[فصلت : ٥٣]. ولو جمعت أنواع العلوم الإنسانية كلها ما خرجت في معانيها من قوله تعالى: (فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) هذه آفاق، وهذه آفاق أخرى، فإن لم يكن هذا التعبير من الإعجاز الظاهر بداهة فليس يصح في الأفهام شيء. ذلك وأن من أدلة إعجاز هذا الكتاب الكريم أن يخطيء الناس في بعض تفسيره على اختلاف العصور الضعف وسائلهم العلمية؛ ولقصر حبالهم أن تعلق بأطراف السموات أو تحيط بالأرض، ثم تصيب الطبيعة نفسها في كشف معاليه، فكلما تقدم النظر، وجمت العلوم ونازعت إلى الاكتشاف، واستكملت أدوات البحث ظهرت حقائقه الطبيعية أصمة كأنه غاية لا يزال عقل الإنسان يقطع إليها، وحتى كأن الآلات حينما توجه لآيات السماء والأرض، توجَّه لآيات القرآن أيضًا.

وكذلك محمد جمال الدين الفندي، وهو رائد من رواد علم الفلك بالعالم، وأحد العلماء المعاصرين، اهتم بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المتوفى سنة (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م)، ومن الكتب الإسلامية العلمية التي كتبها: من الآيات الكونية في القرآن الكريم (١٣٨١هـ = ١٩٦١م)، والقرآن والعلم (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م)، والإسلام والعمل (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م).

وكذلك جهود حنفي أحمد الذي ألف كتابًا تحت عنوان (معجزة القرآن في وصف الكائنات)، والذي قال في مقدمته: إذ كانت الحاجة إليه ماسة في هذا الزمان الذي التبس فيه الحق بالباطل وسميناه ومعجزة القرآن في وصف الكائنات. هذا الكتاب كما ينم عنه اسمه ذو أهمية بالغة؛ لأنه يبحث في موضوع تصوير القرآن الكائنات تصويرًا يكشف عن دقيق معانيه، ويبين ما فيه من آيات الإعجاز الدالة على صدق وحبه وسمو رسالته. لقد جاء الحديث في القرآن عن الكائنات كما جاء غيره من الأحاديث والأنباء، مناسبًا لجميع الناس على اختلاف درجات عقولهم وأفهامهم، فكان ولا يزال لهم جميعًا من ظاهره معان واضحة مهمة تصور لهم صنعة الخالق كما يشاهدونها، وتبين لهم ما فيها من آيات القدرة العظيمة، ودلائل العلم الواسع مع التوجيه الحكيم إلى غايات محدودة، ورحمات مقصودة، لكي يتعرفوا منها بالتعقل والتبصر في غير مناء علي خالق الخلق جل وعلا، وفي كمال صفاته وأفعاله، إذ الصنعة دليل لا شك فيه على قدرة الصانع وصفاته، ولكي يؤمنوا بعد التعرف عليه بصدق وعده ووعيده، كان هذا ولا يزال هو الفرض العام المقصود من ورود الحديث عن الكائنات في القرآن، ولكن المتأملين في هذا الحديث من أهل العلم والخبرة بالكائنات يرون في ألفاظه وعباراته فوق معانيها الظاهرة معاني أخرى دقيقة تنطوي على أصول وجوامع من العلم الواسع الدقيق عن الكائنات الذي لم يكن معروفًا للناس من قبل، ولم يتعرفوا عليه إلا تدريجًا بعد انتشار العلم الحديث بينهم في القرنين الأخيرين، وتنكشف هذه المعاني الدقيقة لهؤلاء المتأملين من أصحاب العقول الراجحة على ضوء علمهم الخاص، إما من صريح النص حينًا، وإما من إشارات ورموز فيه حينًا آخر. لقد كانت دعوة القرآن دعوة علميه قائمة على تحرير العقول من الأوهام، وإطلاق عقال الفكر وحثه على النظر في صحف الكون، لذلك نرى الكثير من آيات القرآن تنتهي بمثل قوله تعالى: (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[الأنعام: ٩٧]، وبقوله: (لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) [الأنعام: ٩٨]، وبقوله: (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[يونس: ٢٤].

ويرى أنه من الغريب، مع ذيوع العلم الحديث وتقدمه، فإنه لم يعرف إلى الآن من دقائق معاني حديث القرآن عن الكائنات سوى "نزار قليل وقبس ضئيل، ويرجع السبب في ذلك إلى عوامل شق أهمها في رأيه وراثة العقيدة التي كانت ولا تزال سائدة في الأذهان بأن القرآن رسالة هداية وإرشاد لا شأن لها بأصول العلوم الكونية، وأن حديثه عن الكائنات لا يحتاج في فهمه إلا لمجرد التعقل والخبرة العادية، وأنه بذلك لا يحوي دقائق، أو تفاصيل عن طبائع الكائنات تتطلب عامًّا خاصًّا لإبانتها وإدراكها، فقد استبعد أهل العلم والفكر وجود علم مفصل عن الكائنات في القرآن الكريم، فغاب عنهم بسبب ذلك مفتاح طريق البحث فيه آياته المفرقة وتبويبها على حسب موضوعاتها ثم بحثها بحثًا كاملًا.

كما يرى أنه من الواجب الاعتراف بالجهود الطيبة التي بذلها بعض أفاضل علماء الأمة المعاصرين في كشف مكنون معاني الآيات الكونية أمثال محمد أحمد الغمراوي، والدكتور عبد العزيز إسماعيل؛ إذ بحث الأول في كتابه وسنن الله الكونية، كثيرًا من الآيات التي تشير إلى الظواهر الجوية بحثًا مستفيضًا وشائقًا، وفسر الثاني في كتابه

الإسلام والطب الحديث، بعض الآيات الكونية تفسيرًا علميًّا؛ أظهر به وجه الإعجاز فيها. وأستاذه الشيخ طنطاوي جوهري، وذلك العالم الرياضي الذي كان صدرًا أعظم من صدور الدولة العثمانية، وهو أحمد مختار باشا الغازي، فقد ألف كتابًا، تناول فيه موضوع بحث الآيات الكونية في القرآن، وبحثه على جلالة قدر، كان محدودًا وقاصرًا على ناحية من نواحي العلم الحديث.

ثم يذكر المسوغات التي أدته إلى تأليف كتابه، وأن الغرض الإصلاحي كان أعظم باعث على وضع هذا الكتاب، على شاكلة قوله: وكان طبيعيًّا للأسباب التي قدمناها ألَّا يفكر المتخصصون في العلم الحديث من المسلمين في النظر والبحث في القرآن، وألا يظهر لهم بحوث فيه، وكان طبيعيًّا أن تتسرب إلى أذهان المثقفين عامة بالعلم الحديث من المسلمين عقيدة الإفرنج بأن الكتب المنزلة جميعًا لا تحوي علمًا دقيقًا بالكائنات، وأن تطور هذه العقيدة بعد ذلك في أذهانهم، كما تطورت في أذهان الإفرنج بأن العلم والدين ضدان لا يجتمعان، وزاد في تصرفهم هذا ما رأوه للأسف من عدم الإهتمام بأمر التثقيف والتهذيب الديني بجانب التثقيف بالعلم الحديث في معاهد التعليم العام والعالي تثقيفًا يربي العقيدة الصحيحة ويخلق الشخصية القوية، وما شاهدوا من مخالفة كثير من القوانين وأنظم الاجتماع في البلدان الإسلامية مخالفة صريحة لتشريعات الدين باسم السير مع عجلة الزمان، وعدم التخلف عن ركب المدنية باعتدال أو بغير اعتدال، ولما كانت الدعوة إلى الإصلاح أكبر خدمة تسدى إلى المجتمع وأعظم واجب على كل قادر عليها لذلك وضعت هذا الكتاب؛ وفاء للعهد والأمانة وإسهامًا مني في الإصلاح المنشود.

وكذلك كان هناك كثير من الأفكار الجهود كجهود صلاح الدين خطاب، ومحمد البنا، ومحمد كامل ضو، ومحمود شكري الآلوسي، وغيرهم.

وكذلك كان هناك أفكار وآراء لمعارضي هذا النوع من التفسير قديمًا وحديثًا من أمثال: البيضاوي، وأبو حيان الأندلسي، والشاطبي، ومحمد رشيد رضا، ومحمود شلتوت، ومحمد مصطفى المراغي، ومحمد حسين الذهبي، وعبد الوهاب حمودة، ومحمد عزة دروزه، والدكتور شوقي ضيف وغيرهم.

أهم نتائج البحث

يتضح لنا مما سبق بيانه في هذا البحث عدة نقاط نجملها فيما يلي:

١) ظهر بوضوح وجلاء ما لا يقبل الشك والتأويل مدى اهتمام المفسرين قديمًا وحديثًا باللغة العربية من خلال حفظهم للقرآن الكريم، وتفقههم في الدين، وتفسيرهم للقرآن الكريم . كما إن العلماء قد وضعوا اللغة العربية، لغة القرآن الكريم نصب أعينهم، ومبتغاهم، ووسيلتهم إلى حفظ القرآن الكريم، وفهم معانيه، وتفسيره، وفقه ما فيه من أحكام،

٢) كما أنهم اعتبروا ذلك طريقًا وسبيلاً لهم إلى رضوان الله – تعالى – عليهم، ورضوان نبيهم – صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يصلون إلى جنة ربهم سبحانه وتعالى .

٣) واتضح أن العلماء القدماء قد فكروا ونشروا أفكارهم الشديدة الأهمية في مجال التفسير العلمي، كالإمام أبي حامد الغزالي، وفخر الدين الرازي، وأبو الفضل المرسي الأندلسي، والبيضاوي، والزركشي، والسيوطي، وغيرهم كثير.

٤) وكذلك اتضح أنه بالرغم من جهود الشيخ طنطاوي جوهري في التفسير العلمي للقرآن الكريم الضخمة، أنه لم يكن وحده الذي وقف هذا الموقف في العصر الحديث، بل كان هناك كثيرون، ممن حملوا على عاتقهم هذا الأمر، وأكثروا فيه من التأليف والتفسير، وكان آخرهم الدكتور زغلول النجار الذي يحتاج إلى بحث مستقل يوضح جهوده في هذا المجال.

٥) واتضح كثرة الاتجاهات التفسيرية لدى المفسرين قديمًا وحديثًا، ولكنها كانت واضحة بشكل أكبر وأكثر اتساعًا في العصر الحديث، وكان كثير منها ما يجمع بين القديم والحديث: التفسير بالرأي، والتفسير بالمأثور، والتفسير بالإشارة، والتفسير الموضوعي، والتفسير الإجمالي، والتفسير المقارن، والتفسير العلمي، والتفسير الواقعي، والتفسير اللغوي البياني، والتفسير الأدبي البلاغي، والتفسير العلماني الحديث، والتفسير الفقهي.

شكر وتقدير

يزجي المؤلفان خالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في هذه الدراسة إثراء لساحة البحث العلمي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

إقرار المصالح

يؤكد المؤلفان عدم وجود أي تضارب في المصالح.

المراجع والمصادر

ابن الأثير، علي أ. ك. م. ت.، عمر ع. س. (١٩٩٧) .*الكامل في التاريخ* .بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.

ابن العماد، عبد الحي أ. أ. م.، محمود ا. (١٩٨٦) .*شذرات الذهب في أخبار من ذهب* .دمشق – بيروت: دار ابن كثير.

ابن حجر العسقلاني، أحمد ع. ع. م. (١٩٧٢) .*الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة* .حيدر أباد، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

ابن خلكان، أحمد م. م. إ.، إحسان ع. (١٩٠٠) .*وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* .بيروت، لبنان: دار صادر.

أبو حجر، أحمد ع. (١٩٩١) .*التفسير العلمي للقرآن في الميزان* .دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر.

أحمد، ح. (١٩٨٠) .*التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن* .مصر: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

آدمز، ت.، محمود ع. (٢٠١٥) .*الإسلام والتجديد في مصر* .مصر: المركز القومي للترجمة.

البغدادي، إ. ب. م. (١٩٥١) .*هدية العارفين* .إستانبول: وكالة المعارف.

البغدادي، إ. م. أ.، محمد ش. ا. (د.ت.) .*إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون* .بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

ابن تغري بردي، ي. ت. ب. (د.ت.) .*النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* .مصر: دار الكتب المصرية.

ابن عاشور، م. الف. (١٩٧٠) .*التفسير ورجاله* .القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.

البيضاوي، ع. ع. (١٤١٨) .*أنوار التنزيل وأسرار التأويل* .بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

جادو، ع. ع. (١٩٨١) .*الشيخ طنطاوي جوهري.. دراسة ونصوص* .القاهرة: دار المعارف.

جمال، م. (٢٠٢٠). الجواهر في تفسير القرآن للشيخ الطنطاوي الجوهري دراسة منهجية ونقدية .*مجلة الدراسات والبحوث الإسلامية*، ٢.

الجوزي، ع. ر. م. (١٩٩٢) .*المنتظم في تاريخ الأمم والملوك* .بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

جوهري، ط. (١٣٥٠) .*الجواهر في تفسير القرآن الكريم* .مصر: مصطفى البابي الحلبي.

الحموي، ي. ع. الرومي. (١٩٩٣) .*معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب* .بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

خليفة، ح. (١٩٥٢) .*كشف الظنون* .بيروت، لبنان: دار الفكر.

الخولي، أ. (١٩٩٦) .*دراسات إسلامية* .القاهرة: دار الكتب المصرية.

الداوودي، م. ع. أ. (د.ت.) .*طبقات المفسرين* .بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الذهبي، م. أ. ع. ق. (د.ت.) .*العبر في خبر من غبر* .بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الذهبي، م. أ. ع. ق. (١٩٨٥) .*سير أعلام النبلاء* .بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

الذهبي، م. ح. (١٩٨٩) .*التفسير والمفسرون* .مصر: مكتبة وهبة.

الرازي، م. ع. الحسن. (١٩٨١) .*مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)* .بيروت، لبنان: دار الفكر.

الرافعي، م. ص. (٢٠٠٣) .*إعجاز القرآن والبلاغة النبوية* .بيروت، لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

الرافعي، م. ص. (١٩٩٧) .*تاريخ آداب العرب* .القاهرة: مكتبة الإيمان.

رسلان، م. إ. (٢٠١٥) .*التفسير العلمي عند الإمام الرازي (دراسة تحليلية مقارنة في مفاتيح الغيب في النصف الأول من القرآن الكريم)* .القاهرة: جامعة الأزهر.

رضا، م. ر. (١٣١٥) .*تفسير المنار* .مصر: مطبعة المنار.

الرومي، ف. ع. س. (١٩٨٦) .*اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر* .السعودية: إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.

الزركشي، م. ع. (١٩٥٧) .*البرهان في علوم القرآن* .مصر: دار إحياء الكتب العربية.

الزركلي، خ. د. (٢٠٠٢) .*الأعلام* .بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

الزهراني، أ. ع. (د.ت.) .*التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه* .المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

سبط ا.ج. و. ق. ع. (٢٠١٣) .*مرآة الزمان في تواريخ الأعيان* .دمشق، سوريا: دار الرسالة العالمية.

السبكي، ع. و. ت. د.، محمود م. الطناحي. (١٤١٣) .*طبقات الشافعية الكبرى* .السعودية: هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

السخاوي، م. ع. ر. (د.ت.) .*الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* .بيروت، لبنان: دار مكتبة الحياة.

سليمان، ح. ح. (٢٠١٩). قضايا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين .*مجلة غير محددة*، ٢١(الأول)، ١٧٩–١٩٨.

السيوطي، ج. د. (١٩٧٤) .*الإتقان في علوم القرآن* .مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، ج. د. (١٩٨١) .*الإكليل في استنباط التنزيل* .بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

السيوطي، ع. ر. أ. ب. (د.ت.) .*بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة* .بيروت، لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

السيوطي، ع. ر. أ. ب. (١٣٩٦) .*طبقات المفسرين* .مصر: مكتبة وهبة.

السيوطي، ع. ر. أ. ب. (١٩٩٢) .*مفحمات الأقران في مبهمات القرآن* .طه عبد الرءوف سعد. مصر: المكتبة الأزهرية للتراث.

الشافعي، م. م. ب. الد. (١٤٢٩) .*التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد* .القاهرة: دار اليسر.

الصدفي، ش. ر. (٢٠١٦). مفهوم النص عند عمر بن الخطاب (أحكام: الفتح، الغنيمة، الفيء). بريطانيا: شركة إي البريطانية.

الصفدي، خ. ب. أ. د. (٢٠٠٠) .*الوافي بالوفيات* .أحمد الأرناؤوط. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث.

العاملي، م. أ. (١٩٣٥) .*أعيان الشيعة* .دمشق – سوريا: دار ابن زيدون.

عبد الرحمن، ع. (١٩٧٠) .*القرآن والتفسير العصري* .مصر: دار المعارف.

عبد العزيز، ج. أ. (٢٠٠٤) .*أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين* .التوزيع والنشر الإسلامية.

عبد القادر، م. م. (٢٠٠٢) .*موسوعة علوم القرآن* .حلب: دار القلم العربي.

عبد الله، إ. (٢٠١١). منهج الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره الجواهر في تفسير القرآن الكريم .*مجلة الإسلام في آسيا*، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ٢.

عتر، ن. د. م. (١٩٩٣) .*علوم القرآن الكريم* .دمشق: مطبعة الصباح.

عرفة، م. هـ. (١٤٢٦) .*التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب* .إيران: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. (١٩٩٨). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

عمارة، م. (٢٠٠٥) .*المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده* .الإسكندرية، مصر: مكتبة الإسكندرية.

العنزي، ع. ب. ي. ع. (٢٠٠١) .*المقدمات الأساسية في علوم القرآن* .بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز.

عيسى، أ. (١٩٤٢) .*معجم الأطباء* .مصر: مطبعة فتح الله إلياس نوري.

الغزالي ط.، م. ب. م. (١٩٨٦) .*جواهر القرآن* .محمد رشيد رضا القباني. بيروت، لبنان: دار إحياء العلوم.

الفاضل، أ. م. (٢٠٠٨) .*الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم دراسة ونقد* .دمشق: مركز الناقد الثقافي.

فضل، ح. ع. (٢٠١٦) .*التفسير والمفسرون أساسياته ومناهجه في العصر الحديث* (مج. ٢). الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

كافي، م. ب. ف. (د.ت.) .*موازنة بين تفسيري المحرر الوجيز لابن عطية وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي* . دار الحامد للنشر والتوزيع.

كحالة، ع. ر. (د.ت.) .*معجم المؤلفين* .بيروت، لبنان: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.

مجاهد، ز. م. (١٩٤٩) .*الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية* .بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

المحتسب، ع. م. ع. س. (١٩٨٢) .*اتجاهات التفسير في العصر الراهن* (ط. ٣). الأردن: مكتبة النهضة الإسلامية.

المسعودي، م. م. ح. (د.ت.) .*التناسب في تفسير الإمام الرازي* .السعودية: جامعة أم القرى.

مسلم، م. (٢٠٠٥) .*مباحث في التفسير الموضوعي* (الطبعة الرابعة). دار القلم.

المقري، أ. ب. م. (١٩٩٧) .*نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* (ط. ١). بيروت، لبنان: دار صاد.

نجم الدين الغزي، م. ب. م. (١٩٩٧) .*الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة* .خليل المنصور. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

النقاش، ر .*تفسير للقرآن بالخرائط والصور* .مجلة المصور.

نويهض، ع. ن. (١٩٨٨) .*معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر* .بيروت، لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

النيسابوري، الح. ب. م. (١٩٩٦) .*تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان* .زكريا عميرات. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

وجدي، م. ف. (د.ت.) .*المصحف المفسر* (ط. ٥). القاهرة: مطبعة السلام.

وجدي، م. ف. (د.ت.) .*دائرة معارف القرن العشرين* .بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

اليافعي، ع. ب. أ. ب. ع. (١٩٩٧) .*مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان* .بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

اليونيني، م. ب. م. (١٩٩٢) .*ذيل مرآة الزمان* (ط. ٢). مصر: دار الكتاب الإسلامي.